

## { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } (1)

التب: القطع.

ومن المادة: بت بتقديم الباء، فهي تدور على معنى القطع، كما يفيدده فقه اللغة في دوران المادة على معنى واحد.

وقال: التب، والتبب، والتباب، والتبيب، والتتيب، النقص والخسار، إلى أن قال: وتبت يده: ضلنا وخسرتا.

وقال الفخر الرازي: التبات: الهلاك، ونظيره قوله تعالى:

{ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ }

[غافر: 37]، أي في هلاك.

وذلك لأن أبا لهب أهلك نفسه بفساد اعتقاده وسوء فعله، كما جاء في السنة قول الأعرابي: هلكت وأهلكت: أي بوقاعه أهله في رمضان، وجاء قوله تعالى:

{ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا

زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ }

[هود: 101].

فقالوا: غير خسران، والخسران يؤدي إلى الهلاك، والقطع.

كما جاء في معناه في قصة صالح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام. قوله تعالى:

{فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ}

[هود: 63]، فظهر من هذا كله أن معنى: تبت يدا أبي لهب، دائر بين معنى القطع

والهلاك والخسران.

أما قطعها فلم يقدر عليه قطع يديه قبل موته.

وأما الهلاك والخسران: فقد هلك بالعدة.

وأما الخسران: فما أشد خسارانه بعد هذا الحكم عليه من الله تعالى.

وإذا كان المعنى قد تعين بنص القرآن في الهلاك والخسران، فما معنى إسناد التبت

لليدين؟

الجواب: أن ذلك من باب إطلاق البعض وإرادة الكل كما تقدم في قوله تعالى:

{نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ}

[العلق: 16]، مع أن الكاذب هو صاحبها.

وقد قدمنا هناك أن مثل هذا الأسلوب لا بد فيه من زيادة اختصاص للجزء المنطوق

في المعنى المراد.

فلما كان الكذب يسوّد الوجه ويذل الناصية، وعكسه الصدق يبيّض الوجه ويعرّ الناصية، أسند هناك الكذب إلى الناصية لزيادة اختصاصها بالكذب عن اليد مثلاً.

ولما كان الهلاك والخسران غالباً بما تكسبه الجوارح، واليد أشد اختصاصاً في ذلك أسند إليها البت.

ومما يدل على أن المراد صاحب اليدين، ما جاء بعدها، قوله تعالى: { وَتَبَّ } ، أي أبو لهب نفسه.

وسواء كان قوله تعالى: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ } ، على سبيل الإخبار أو الإنشاء، فإنه محتمل من حيث اللفظ.

ولكن قوله تعالى بعده: { وَتَبَّ } ، فهو إخبار، فيكون الأول للإنشاء كقوله:

{ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ }

[عبس: 17].

ثم جاء الثاني تصديقاً له، وجاءت قراءة ابن مسعود { وَتَبَّ } .

{ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } (2)

سواء كانت ما استفهامية فهو استفهام إبهام، أو كانت نافية فإنه نص، على أن ماله لم يغن عنه شيئاً.

وقوله: { وَمَا كَسَبَ } .

ف قيل: أي من المال الأول ما ورثه أو ما كسب من عمل جرّ عليه هذا الهلاك، وهو عداؤه لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونظير هذه الآية المتقدمة

{ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى }

[الليل: 11].

وتقدم الكلام عليه هناك.

وتقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه بيان معنى { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ

{ ، عند قوله تعالى:

{ مِّنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئاً وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ

وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }

[الجاثية: 10].

وساق كل النصوص في هذا المعنى بتمامها.

تنبيه

في هذه الآية سؤالان هما:

أولاً: لقد كان صلى الله عليه وسلم مع قومه في مكة ملاطفاً حليماً، فكيف جاء به عمه بهذا الدعاء: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ }؟ والجواب: أنه كان يلاطفهم ما دام يطمع في إسلامهم، فلما يئس من ذلك، كان هذا الدعاء في محله، كما وقع من إبراهيم عليه السلام، كان يلاطف أباه

{ يَا بَتِّ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ }

[مریم: 44]،

{ يَا بَتِّ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيًّا }

[مریم: 43]، فلما يئس منه تبرأ منه كما قال تعالى:

{ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لِأَوَّاهٌ حَلِيمٌ }

[التوبة: 114].

والسؤال الثاني: وهو مجيء قوله تعالى: { وَتَبَّتْ } ، بعد قوله: { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ } ، مع أنها كافية سواء كانت إنشاءً للدعاء عليه أو إخباراً بوقوع ذلك منه.

والجواب، والله تعالى أعلم، أن الأول لما كان محتملاً الخبر، وقد يحو الله ما يشاء ويثبت، أو إنشاءً وقد لا ينفذ كقوله:

{قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ}

[عبس: 17]، أو يحمل على الدم فقط، والتقييح فجاء " وتب " لبيان أنه واقع به لا محالة، وأنه ممن حقت عليهم كلمات ربك ليأس صلى الله عليه وسلم، والمسلمون من إسلامه. وتنقطع الملاطفة معه، والله تعالى أعلم.

وقد وقع ما أخبر الله به، فهو إعجاز القرآن أن وقع ما أخبر به، كما أخبر ولم يتخلف.

{وَمَتَّ كَلِمَةً رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}

[الأنعام: 115]، وقوله:

{كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}

[يونس: 33].

نسأل الله العافية، إنه سميع مجيب.

empty 5 & 4 ,#3